ومعارفه فى التقاعد، أن يكف، ليس خشية، ولكنه ضاق بما يفعله وما يمارسه من حرص، واضطرار إلى يقظة دائمة خشية إحراج معارفه من رجال مكافحة المخدرات، ضحك قائلاً إن الموظفين يتقاعدون عند بلوغهم هذا العمر، رغبته فى ملازمة ضريح سيدى الدردير قوية، أيضًا زيارة الأولياء والصالحين، الطواف على مراقدهم وقراءة الفاتحة مع طلب المغفرة، فالدعاء عندهم مستجاب.

لاشىء يخفى فى الباطنية، خاصة عند الطرفين، تجار المخدرات ورجال الشرطة، المنطقة كلها قوامها الحرص، الإنصات من ناحية لأى خطر أو مداهمة محتملة من الشرطة المدربة، لكل طرف آذانه وعيونه، إضافة إلى درجة من التواطؤ.

نما إلى الشرطة المعنية رغبة الحاج فى التقاعد، عندئذ قصده شرطى سرى، كل منهما يعرف صاحبه منذ سنوات، استفسر عن السبب، لماذا يريد التوقف؟، قال الحاج إنه بلغ درجة من الوهن يسعى فيها إلى التقاط الأنفاس، قال برقة: يا الله حسن الختام!

تصور أن قراره سيلقى تهنئة ومؤازرة، لكن المفاجأة رد فعل المخبر الذى أعتمت ملامحه، قال بوضوح إنه مضطر إلى مصارحته، ولولا ما بينهما من ود لما سعى إليه: إن توقفه عن العمل سيودى إلى القبض عليه، لا يمكنه التقاعد، غير مسموح!

لم يتساءل الحاج عن السبب، علمته التجارب ألا يلف ويدور فى الأمور الحساسة، عند اللحظات الفارقة، تقاعده يعنى إخلالا بالبنية القائمة، إنه مصدر هبات منتظم، دقيق لعدد من أفراد المكافحة، بل إن صلة رسخت ونمت، إذا مرض يسعون إليه، إذا غاب أحدهم يستفسر